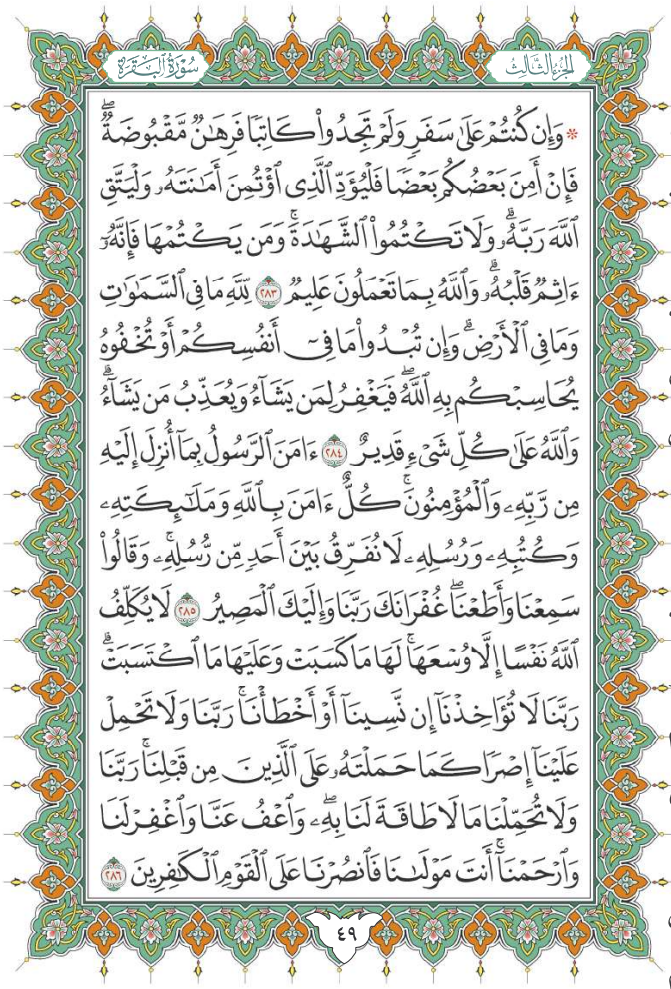


﴿٢٨٣﴾ وإن كنتم في سفر فلم تجدوا من يكتب لكم الدين، فليكن ضمان الدين رهنًا يأخذه الدائن من المدين. وإذا أودع أحدكم عند آخر وديعة تكون أمانة عنده، وقد اعتمد على أمانته، فليؤدِّ المؤتمن الأمانة عند طلبها، وليتّقِ عقوبة الله له إن خان الأمانة أو غشّ في الشهادة. ولا تكتموا الشهادة عند طلبها، ومن يكتمها فهو آثم خبيث القلب، والله بما تعملون عليم، سيجزيكم عليه بحسب ما تستحقّون.

﴿٢٨٤﴾ واعلموا أنّ لله ما في السموات وما في الأرض وقد أحاط به قدرة وعلمًا، وسواء أظهرتم ما في أنفسكم أو أخفيتموه فإنّ الله عليم خبير، سيحاسبكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء وهو تعالى على كلّ شيء قدير.

﴿٢٨٥﴾ إنّ ما أُنزل إلى الرّسول - محمّد - ﷺ هو الحقّ من عند الله، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كلّ منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهم يساوون بين رسل الله في الإيمان بهم وتعظيمهم قائلين: لا نفرّق بين أحد من رسله، وأكّدوا إيمانهم القلبيّ بقولهم اللسانيّ متّجهين إلى الله في خطابهم: ربّنا سمعنا تنزيلك المحكم واستجبنا لما فيه، فامنحنا اللهمّ مغفرتك، وإليك - وحدك - المصير والمرجع.

﴿٢٨٦﴾ إنّ الله لا يكلّف عباده إلّا ما يستطيعون تأديته والقيام به، ولذلك كان كلّ مكلف مجزيًّا بعمله: إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ، فاضرعوا إلى الله - أيّها المؤمنون - داعين: ربّنا لا تعاقبنا إن وقعنا في النسيان لما كلّفتنا إيّاه، أو تعرّضنا لأسباب يقع عندها الخطأ، ربّنا ولا تُشدِّد علينا في التشريع كما شدّدت على اليهود بسبب تعنّتهم وظلمهم، ولا تكلّفنا ما لا طاقة لنا به من التكاليف، واعفُ عنّا بكرمك، واغفر لنا بفضلك، وارحمنا برحمتك الواسعة. إنّك مولانا، فانصرنا يا ربّ - من أجل إعلاء كلمتك ونشر دينك - على القوم الجاحدين.

## لله ملك السموات والأرض وإحاطة علمه بكل شيء ومحاسبة العباد على أفعالهم ونواياهم

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ .



### أسباب النزول والمناسبة

**سبب نزول الآية (٢٨٤):** لمّا نزل قول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾. اشتدَّ الأمر على الصَّحابة أيحاسبون على الأمور التي يبدونها والتي يخفونها أيضًا؟ ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّمهم الأدب مع الله وعلَّمهم كيف يتعاملون مع الأمر فقال لهم: ﴿قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1]. فخفَّف الله تعالى عنهم فنزلت تكملة الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2]. وبيَّن الله تعالى أنَّه سيحاسبهم على هذه الخواطر إذا عَمِلوا بها، أو إذا فكَّروا بها بطريق عزم أو همّ. أمَّا إذا جاءت الخواطر وصرفوها فالله سبحانه وتعالى لا يحاسبهم عليها.

**المناسبة:** هذه الآية متمّمة لآخر كلّ من الآيتين السابقتين وهما: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ودليل على إحاطة علم الله بالأشياء؛ لأنّ من ملك شيئًا وخلقه، فلا بدّ من أن يعلمه، كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3]، وكذلك من ملك شيئًا فله حسابه على أفعاله وما يخفيه صدره، ومنها كتمان الشهادة، وصاحب السلطة المطلقة في شيء وهو الحساب، له الإرادة المطلقة في العفو عمّن شاء ممّن أخطأ، وعقاب من شاء، وذلك كلّه مقترن بالقدرة المطلقة على كلّ شيء.

وللآية أمثال كثيرة في القرآن الكريم نحو: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]. و﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[5].

تفسير هدى للناس جمع وتأليف د.وسيم الحجار. كلمة طيبة. ط١



### المعنى العام

يخبر تعالى أنّ له ملك السماوات والأرض، وما فيهنّ وما بينهنّ، وأنّه المطّلع على ما فيهنّ لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر، وإن دقّت وخفيت، وأخبر أنّه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6].

وقال: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[7]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، وقد أخبر في هذه الآية بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك، ولهذا لمّا نزلت هذه الآية اشتدّ ذلك على الصحابة ﷺ وخافوا منها، ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦. (٣) سورة الملك، الآية: ١٤. (٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.
(٥) سورة طه، الآية: ٧. (٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٩. (٧) سورة طه، الآية: ٧.

وحقيرها، وهذا من شدّة إيمانهم وإيقانهم.

- روى الإمام أحمد عن أبي هريره قال: لمّا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثمّ جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصّلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، فلما أقرّ بها القوم وذلّت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها[1] ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2]، فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[3] إلى آخره، ورواه[4] مسلم منفردًا به عن أبي هريرة فذكر مثله، ولفظه: فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال[5] نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم[6]

- وروى أحمد عن مجاهد قال: دخلت على ابن عبّاس فقلت: يا أبا عبّاس، كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكى قال: أيّة آية؟ قلت ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال ابن عبّاس: إنّ هذه الآية حين أُنزلت غمّت أصحاب رسول الله ﷺ غمًّا شديدًا وغاظتهم غيظًا شديدًا، وقالوا: يا رسول الله هلكنا، إنّا كنّا نؤاخذ بما تكلّمنا وبما نعمل، فأمّا قلوبنا فليست بأيدينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال: فنسختها هذه الآية ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ إلى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فتَجَوَّز لهم عن حديث النفس وأُخذوا بالأعمال.

- وروى ابن جرير عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة سمعه يحدّث: أنّه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ فقال: والله لئن واخذنا الله بهذا لنهلكنّ، ثمّ بكى ابن عمر حتّى سمع نشيجه، قال ابن مرجانة: فقمت حتّى أتيت ابن عبّاس، فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها، فقال ابن عبّاس: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر، فأنزل الله بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخر السورة، قال ابن عبّاس: فكانت هذه الوسوسة ممّا لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله تعالى أنّ للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل.

وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا[7]، مَا لَمْ تَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ»[8].

---

(١) «أثرها» بفتح الهمزة والثاء، وبكسر الهمزة وسكون الثاء، لغتان.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٤) قوله: «ورواه مسلم منفردًا به عن أبي هريرة»، قد يوهم أنّ رواية أحمد عنه تنتهي هنا، وليس كذلك، بل رواية أحمد هي بنحو رواية مسلم إلا أنّ فيها «قال: نعم»، ثلاث مرّات، أي: ليس بعد قوله: ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قوله: «قال: نعم». أمّا رواية أحمد عن ابن عبّاس فهي من دون هذه الزيادة بكاملها كما سيأتي.
(٥) أي: قال الله تعالى بعد كلّ دعاء من هذه الأدعية: «نعم» أي: «قد فعلتُ» كما في رواية أخرى، أي: استجبتُ دعاءكم هذا، وستأتي إشارة إلى هاتين الروايتين آخر تفسير السورة.
(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٢٥، كتاب: الإيمان، باب: بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾.
(٧) «أنفسها» ضبطها بعضهم بالنصب وبعضهم بالرفع، والنصب أظهر وأشهر كما قال النوويّ رحمه الله.
(٨) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٥٢٦٩، كتاب: الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره.

وفي الصّحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا» (١).

وروى مسلم أيضًا عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربّه تعالى قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» ثمّ بين ذلك: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» (٢).

وعن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه فقالوا: إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلّم به قال: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قالوا: نعم قال: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم، وروى مسلم أيضًا عن عبد الله بن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال: «تِلْكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» (٣).

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ فإنها لم تُنسخ، لكنّ الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول: إنّي أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم ممّا لم يطلع عليه ملائكتي، فأمّا المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدّثوا به أنفسهم، وهو قوله: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ يقول: يخبركم، وأمّا أهل الشكّ والريب، فيخبرهم بما أخفوه من التكذيب، وهو قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وهو قوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٤) أي: من الشكّ والنفاق. وقد روى العوفيّ والضحّاك عن ابن عبّاس قريبًا من هذا، وروى ابن جرير عن مجاهد والضحّاك نحوه، وعن الحسن البصريّ أنّه قال: هي محكمة لم تنسخ، واختار ابن جرير ذلك، واحتجّ على أنّه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنّه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب، بالحديث الذي رواه عند هذه الآية عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف، إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر، ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، مَرَّتَيْنِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٥)»(٦). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق متعدّدة.

يقول الحقّ ﷻ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خلقًا وملكًا وعبيدًا، يتصرّف فيهم كيف شاء يرحم من يشاء بفضله، ويعذّب من يشاء بعدله، ﴿وَإِن تُبْدُواْ﴾ أي: تظهروا ما في أنفسكم من السوء والعزم عليه، أو تخفوه في قلوبكم، يحاسبكم به الله يوم القيامة فيغفر لمن يشاء مغفرته، ويعذّب من يشاء تعذيبه، والله على كلّ شيء قدير لا يعجزه عذاب أحد ولا مغفرته. وعبر الحقّ تعالى بالمحاسبة دون المؤاخذة، فلم يقل: يؤاخذكم به الله لأنّ المحاسبة أعمّ، فتصدق بتقرير الذنوب دون المؤاخذة بها، لقوله ﷺ: «يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَعْرِفُ، فَيُوَقِّفُهُ عَلَى ذَنْبِهِ ذَنْبًا ذَنْبًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا الَّذِي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». فلله الفضل والمنة، وله الحمد والشكر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٢٨، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس، حديث رقم: ٦٤٩١، كتاب: الرقاق، باب: من هم بحسنة أو بسيئة.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٣٢، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥. (٥) سورة هود، الآية: ١٨.
(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن قتادة عن صفوان بن محرز، حديث رقم: ٤٦٨٥، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ﴾.

# لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

## ما يستخلص من الآيات

### في العقيدة

**من هدي الآية:**

١. محاسبة العبد بما يخفي في نفسه من الشّكّ والشّرك والنّفاق وغير ذلك من بغض أولياء الله وحبّ لأعدائه، ومؤاخذته بذلك، والعفو عن الهمّ بالخطيئة والذنب دون الشّكّ والشّرك والحبّ والبُغض من المؤمن الصادق الإيمان للحديث الصحيح الذي أخرجه الستة: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ﴾[1].

٢. ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: من المعاني والدعاوى، ويقال من القصود والرغائب، وفنون الحوائج والمطالب.

ويقال ما "تبديه": العبادة، "وما تخفيه" الإرادة أي النية.

ويقال ما "تخفيه": الخطرات و"ما تبديه": "العبارات.".

ويقال ما "تخفيه": السكنات والحركات.

ويقال الإشارة فيه إلى استدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة، فلا تغفل خطرة ولا تحمل وقتك نَفَسًا.

٣. ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾. يبيّن سبحانه أنّ محاسبته لعباده سوف تأتي على جميع الأعمال: العلانية والسرّيّة، والجسميّة والقلبيّة، والبادية الظاهرة والنفسيّة الخفيّة، فهو الذي يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم ما يسرّون وما يعلنون، وما يبدون وما يخفون من خفايا نفوسهم وخبايا قلوبهم، وسوف يحاسبهم على جميع ذلك، فليخافوا وليخشوا الحساب عند ربّ الأرباب.

ثمّ بعد الحساب: يغفر لمن يشاء، وهم الذين فيهم أهليّة لأن يتفضّل عليهم بالمغفرة، ويعذّب من يشاء وهم الذين ليسوا أهلًا للتفضيل بالغفران، وذلك عائد لعلمه وحكمته، فإنّه هو العليم الحكيم وهو على كلّ شيء قدير، ومن ذلك قدرته على المغفرة لهذا والتعذيب لهذا، لا يعجزه شيء من ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2].

### في الأمر والنّهي

**باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دعي إلى ذلك، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر**

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٥٢٦٩، كتاب: الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٢. (٣) سورة النساء، الآية: ٦٥. (٤) سورة النور، الآية: ٥١.

## في الأخلاق والآداب

من عرف أنَّ الله تعالى خبيرٌ، وأنَّه سبحانه مُطَّلعٌ على خفاياه، عندها تأدَّب معه في كلِّ شيءٍ في أحكامه وحركاته وسكناته.

مثلًا: هناك تاجر امتلك أرضًا واسعة وقرر بناء مسجد عليها، رغم ظاهر النيّة الطيبة، لكن الحقيقة أنّه يأتي المزيد من النّاس للمنطقة، بسبب وجود المسجد، وبالتالي تزيد قيمة الأرض، هذه الدّوافع الدّاخلية لا يعلمها أحد سوى الله ﷻ.

والإخلاص هو سرٌّ لا يطّلع عليه شيطانٌ فيفسده، ولا مَلَكٌ فيكتبه، أمَّا الله تعالى من اسمه الخبير يطّلع على نواياك.

فتأدَّب معه، واعلم أنَّه بك خبيرٌ، وبنواياك خبير، وبما تفكّر به خبير، ولذلك لمَّا نزل قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ اشتدَّ الأمر على الصّحابة أيحاسبون على الأمور التي يبدونها والتي يخفونها أيضًا؟ ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّمهم الأدب مع الله وعلَّمهم كيف يتعاملون مع الأمر فقال لهم: ﴿قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير﴾[1]. فخفَّف الله تعالى عنهم فنزلت تكملة الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2] وبيَّن الله تعالى أنَّه سيحاسبهم على هذه الخواطر إذا عَمِلوا بها، أو إذا فكَّروا بها بطريق عزم أو همٍّ. أمَّا إذا جاءت الخواطر وصرفوها فالله سبحانه وتعالى لا يحاسبهم عليها.

**الحكمة:** لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلًا للقبول.

## في السّيرة والشّمائل

### صلح الحديبية:

في العام السادس من الهجرة رأى رسول الله ﷺ في منامه أنّه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأنّهم يطوفون بالكعبة، فأخبر أصحابه بذلك، ففرحوا فرحًا شديدًا، فرؤيا الأنبياء حقّ، وقد اشتدّ بهم الحنين إلى تأدية النُسُك، ودخول مكّة موطنهم الأوّل ومسقط رأسهم.

وفي شهر ذي القعدة من العام نفسه خرج النّبيّ ﷺ في ألف وأربعمائة مسلم، متّجهين إلى مكّة لقضاء أوّل عمرة لهم بعد الهجرة، فلمّا وصل إلى ذي الحليفة أهلَّ مُحرمًا هو ومن معه، وحين وصلوا إلى عسفان (مكان بين مكّة والمدينة)، جاءهم بُسر رضي الله عنه بأخبار قريش واستعدادهم لمنع المسلمين من دخول مكّة، فاستشار النّبيّ ﷺ أصحابه، فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالتوجّه إلى مكّة لأداء العمرة والطواف بالبيت.

وفي موضع يقال له الحديبية قبيل مكّة تمّت مفاوضات بين النّبيّ ﷺ وقريش، أسفرت عن اتّفاق عُرِفَ في السيرة النبويّة بصلح الحديبية، ويقضي هذا الصلح بأن تكون هناك هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات، وأن يرجع المسلمون إلى المدينة هذا العام فلا يقضوا العمرة إلى العام القادم، وأن يردّ محمد ﷺ من يأتي إليه من قريش مسلمًا دون علم أهله، وألّا تردّ قريش من يأتيها مرتدًّا، وأنّ من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمّد ﷺ من غير قريش دخل فيه.

وكان هذا الصلح - رغم شروطه الشديدة على المسلمين - فتحًا عظيمًا، ونصرًا مبينًا للمسلمين، وذلك لما ترتّب عليه من منافع

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

عظيمة، حيث اعترفت قريش بكيان المسلمين لأوّل مرة، وتنازلت عن صدارتها الدنيويّة وزعامتها الدينيّة، وقد سمّاه الله تعالى فتحًا مبينًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إنّكم تعدّون الفتح فتح مكّة، ونحن نعدّ الفتح صلح الحديبية".

وقال الزهريّ: "فما فُتِحَ في الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه".

وقال ابن هشام: "والدليل على قول الزهريّ: أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة في قول جابر بن عبد الله ﷺ، ثمّ خرج عام فتح مكّة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف". (تم نقلها من الأخر حسب طلب الشيخ القاضي وليد الحصني)

قال الشنقيطيّ: "وليس المراد بالفتح المذكور فتح مكّة وإن قال بذلك جماعة من أهل العلم، وإنّما قلنا ذلك لأنّ أكثر أهل العلم يرون أنّ المراد بالفتح فتح الحديبية، ولأنّ ظاهر القرآن يدلّ عليه، لأنّ سورة الفتح نزلت بعد الصلح في طريقه ﷺ راجعًا إلى المدينة، ولفظ الماضي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يدلّ على أنّ ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنّه فتح مكّة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر".

خرج المسلمون من المدينة وهم أشدّ ما يكونون شوقًا إلى البيت الحرام، ولقد كانوا عازمين على دخول مكّة، مهما كلّفهم ذلك من جُهد وثمن، ومن ثمّ حزنوا لرجوعهم إلى المدينة دون تأديتهم للعمرة وطوافهم بالكعبة، وكان النّبيّ ﷺ قد أخبرهم أنّهم سيأتون البيت يطوفون به، فلِمَ يرجعون ولا يطوفون به؟ كما حزنوا لأنّه ﷺ نبيّ الله وهو على الحقّ، والله وعده نصره وإظهار دينه، فما له يقبل شروط قريش ويستجيب لضغوطهم؟ وصارت مشاعر المسلمين لأجل ذلك حزينة، وكان أعظم المسلمين حزنًا عمر بن الخطاب ﷺ، الذي حدث بينه وبين النّبيّ ﷺ حوار ومناقشة.

عن أبي وائل قال: (قام سهل بن حنيف يوم صفّين، فقال: أيّها النّاس، اتّهموا أنفسكم لقد كنّا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، قال: فأتى عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله: ألسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ قال: «بَلَى»، قال: أليس قتلانا في الجنّة، وقتلاهم في النار؟ قال: «بَلَى»، قال: ففيم نعطي الدنيّة في أنفسنا، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ»، قال: فانطلق ابن الخطاب ولم يصبر متغيّظًا، فأتى أبا بكر ﷺ فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحقّ وهم على باطل؟ قال: «بَلَى» قال: أليس قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار؟ قال: «بَلَى» قال: فعلام نعطي الدنيّة في ديننا؟ ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطّاب إنّه رسول الله، ولن يضيّعه الله أبدًا. فنزل القرآن على محمّد رسول الله ﷺ، فأرسل إلى عمر فأقرأه إيّاه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نَعَم»، قال: فطابت نفسه ورجع)[2].

وفي رواية أحمد: "فقال له أبو بكر بمثل ما قال له رسول الله ﷺ وزاد أبو بكر: (يا عمر الزم غرزه - أي: تمسّك بأمره - حيث كان، فإنّي أشهد أنّه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنّه رسول الله، وقال عمر: ما زلتُ أصوم وأتصدّق وأعتق مِنَ الذي صنعتُ مخافة كلامي الذي تكلّمت به يومئذ، حتّى رجوت أن يكون خيرًا).

(١) سورة الفتح، الآية: ١.
(٢) رواه البخاريّ.

قال ابن حجر: "قال بعض الشرّاح قوله: "أعمالاً" أي من الذهاب والمجيء، والسؤال والجواب، ولم يكن ذلك شكًّا من عمر، بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًّا على إذلال الكفار، لما عُرِفَ مِنْ قوّته في نصرة الدّين" ثمّ قال: "وتفسير الأعمال بما ذُكِرَ مردود، بل المراد به الأعمال الصالحة، ليكفّر عنه ما مضى من التوقّف في الامتثال ابتداء".

وروى الواقديّ من حديث عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه: قال عمر رضي الله عنه: "لقد أعتقت بسبب ذلك رقابًا، وصُمْتُ دهْرًا".

لم يكن عمر رضي الله عنه في مناقشته للنّبيّ ﷺ ضعيف الإيمان، بل كان يريد ما هو أشقّ على النّفس حين قال: أليس قتلانا في الجنّة، وقتلاهم في النار؟ قال: ﴿بَلَى﴾، قال: ففيم نعطي الدنيّة في أنفسنا"، وكان النّبيّ ﷺ مُدْرِكًا وموقنًا أنّ هذا الصلح سيكون فاتحة خير وبركة على المسلمين بعد ذلك، وإذا كان الأصل في أسلوب النّبيّ ﷺ وعادته مع أصحابه الحوار والمناقشة ليبيّن لهم الحكمة، إلا أنّه ﷺ في هذا الموقف يربّي أصحابه على الاستسلام لأمر الله تعالى، وأمْرِ رسوله ﷺ، دون معرفة الأسباب، أو إدراك الحكمة، فما دام الله تعالى قد أمر، والنبي ﷺ قد حكم، فلا يسع المسلم إلا الإيمان والتصديق والرضى، قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

وإذا كان عمر رضي الله عنه وبعض الصحابة كرهوا هذا الصلح، ورأوا في شروطه الظلم والإجحاف بالمسلمين، إلا أنّهم ندموا على ذلك، وظلّت تلك الحادثة درسًا لهم فيما استقبلوا من حياتهم، فكان عمر رضي الله عنه يقول: "يا أيّها النّاس: اتّهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أردّ أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهادًا".

وكان سهل بن حنيف رضي الله عنه يقول: "اتّهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ أمر رسول الله ﷺ لرددته".

لقد كان صلح الحديبية مفتاحًا لفتح مكّة وإن لم ينتبه المسلمون لهذا في حينه، إذْ لما تمّ الصلح والهدنة ووضعت الحرب، وأمِنَ المسلمون واختلطوا بالكفار من غير استنكار، دعوهم إلى الإسلام وأسمعوهم القرآن، وقد أسلم في خلال سنتين ـ بعد هذا الصلح ـ مثل من كان في الإسلام قبل ذلك بل أكثر، ومن ثمّ كان صلح الحديبية ـ مع ما فيه من الدروس والحكم ـ فتحًا مبينًا.

لقد تعلّم الصحابة رضي الله عنهم من سيرة النّبيّ ﷺ عامّة، ومن صلح الحديبية خاصّة، وجوب طاعة أمر النّبيّ ﷺ والتسليم لحكمه، وإن خالف ذلك النفس، ولم يدرك غايته العقل.

واللّهُ سبحانه يسمعُ خطابَكَ لِنَفْسِكَ فاحْفَظ أنفاسَكَ واحفَظْ قلبكَ، واللّهُ يسمع خطراتك أيضًا ولذلك نزل قول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

## قصة حيّ من الانصار بعد توزيع غنائم حنين:

عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم! حتّى كثرت منهم القالة فقال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

قال: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلَّا من قومي.

قال: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ».

قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة.

قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم.

فلمّا اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله.

ثمّ قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَا قَالَةٌ، بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل.

ثمّ قال: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل.

قال ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ. أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا. وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرءا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»[1].

قال: فبكى القوم حتّى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا، وحظًّا. ثمّ انصرف رسول الله ﷺ، وتفرّقوا.

## في السّلوك

**الإشارة**: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من الخواطر الردية والطوارق الشيطانية، أو تخفوه في قلوبكم، حتى يحول بينكم وبين شهود محبوبكم، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ فيمحو ظلمته من قلبه بإلهام التوبة والمبادرة إلى اليقظة، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ بتركه مع ظلمة تلك الأغيار، وخوضه في بحار تلك الأكدار، فما منع القلوب من مشاهدة الأنوار إلا اشتغالها بظلمة الأغيار، فرّغْ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار، فإن أردت أن تكون عين العين، فامح من قلبك نقطة الغين، وهي نقطة السوى.

**الإشارة**: واعلم أنّ الخواطر أربعة: ملكيّ وربّانيّ ونفسانيّ وشيطانيّ، فالملكيّ والربّانيّ لا يأمران إلا بالخير، والنفسانيّ والشيطانيّ لا يأمران إلا بالشّرّ، وقد يأمران بالخير إذا كان فيه دسيسة إلى الشّرّ، والفرق بين النفسانيّ والشيطانيّ: أنّ الخاطر النفسانيّ ثابت لا يزول بتعوّذ ولا غيره، إلا بسابق العناية، بخلاف الشيطانيّ: فإنّه يزول بذكر الله، ويرجع مع الغفلة عن الله.

والفرق بين الرحمانيّ والملكيّ: أنّ الرحمانيّ يأتي بالعلوم والفهوم والمعاني والنوايا والأفكار فيما ينفع الأمة، والملكيّ يأمرك بخير من طاعة أو ذكر أو خلق حسن. والله تعالى أعلم.

## في الإعجاز العلميّ

(١) رواه أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم: ١١٧٣٠، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الحديث إسناده حسن.

## في أشراط السّاعة

## في الأدعية والأذكار

يَا اللهُ، يَا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ، يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيمُ... أَنْتَ رَبِّي، وَعِلْمُكَ حَسْبِي، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي، وَنِعْمَ الْحَسَبُ حَسْبِي. تَنْصُرُ مَنْ تَشَاءُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ؛ نَسْأَلُكَ الْعِصْمَةَ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالْكَلِمَاتِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْخَطَرَاتِ... مِنَ الشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ، وَالْأَوْهَامِ السَّاتِرَةِ لِلْقُلُوبِ عَنْ مُطَالَعَةِ الْغُيُوبِ، فَقَدْ ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

## الآيتان ٢٨٥-٢٨٦

## آخر آيتين من سورة البقرة، الإيمان بالرّسل والتكليف بالوسع

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

### أسباب النزول والمناسبة

**المناسبة:** بدأ الله تعالى هذه السورة بالكلام على القرآن والمؤمنين ومقارنتهم بالكافرين، ولا سيّما أخبار اليهود، ثمّ أرشد تعالى إلى كثير من الأحكام كالصيام والحجّ والطلاق، ومحاجّة الضالّين، وختم السورة بالكلام عن إيمان الرسول محمّد ﷺ والمؤمنين بالكتب السماوية وبالرسل الكرام دون تفريق أو تفضيل في أصل الرسالة والتشريع، وكان مسك الختام إبداء ما تفضّل الله به على هذه الأمّة من التكاليف السمحة السهلة التي لا ضيق ولا حرج فيها، وأنّ الإيمان وأهله منصورون على الكفر وأعوانه، إذا صحّ وصدقت العزيمة وتوافر الإخلاص والصدق وتنفيذ الأحكام الشرعيّة

### المعنى العام

ورد في فضل هاتين الآيتين عدد من الأحاديث، منها ما رواه الشيخان وأحمد وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال: قال: رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ﴾[1].

ومنها الدعاء: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: من التكليف والمصائب والبلاء، لا تبتلينا بما لا قِبَل لنا به، فإذا دعوت بذلك ﴿قَالَ اللهُ: نَعَمْ﴾، وفي الحديث الآخر: ﴿قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ﴾.

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي مسعود، حديث رقم: ٥٠٠٩، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة.